دولة ليبيا
وزارة التعليم
مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية

اللغة العربية

للسَّنة الأولى
بمرحلة التَّعليم الثَّانويّ

الاسبوع العشرون

المدرسة الليبية بفرنسا ـ تور

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الشّعر المسرحي

أحزان إفريقيا - لمحمد الفيتوري

المسرح عامة والمسرح الشعري خاصة لم يعرفا إلّا في الأدب العربي الحديث ، نتيجة التأثر بالتيارات الغربية الوافدة ، هذا على أن المسرح الشعري ظلت معرفته محدودة والكتابة فيه مقتصرة في الأغلب على استلهام التاريخ والأسطورة ، وذلك مثل ما هو ملاحظ عند شوقي ، وعزيز أباظة ، وصلاح عبدالصبور ، ثم شاعرنا محمد الفيتوري الذي كتب في إطاره مسرحيتين ، وهذه المسرحية التي بين أيدينا هي إحداهما ، وتستعرض فترة من تاريخ الجهاد العربي الليبي في مقاومة الاحتلال الإيطالي ، من خلال شخصية بطل من أبطاله ، وهو البطل الشهيد عمر المختار ، وفي أسلوب شعري يقوم على أساس المزج بين شعر البيت وشعر التفعيلة .

صاحب النّصّ:

محمد الفيتوري شاعر معاصر ، هاجرت أسرته إلى السودان فوُلد وتربى وتلقّى تعليمه الأول هناك ، ثم انتقل إلى مصر ليتم تعليمه في الإسكندرية ، ثم عاد إلى موطنه ليبيا وواصل نتاجه الأدبي ، ومن أهم دواوينه : «أغاني إفريقيا» ، و«اذكريني يا إفريقيا» ، و«عاشق من إفريقيا» ، و«معزوفة لدرويش متجول» ، ومن مسرحياته «أحزان إفريقيا» ، وتتألف من ثلاثة فصول ، ومن تسعة مشاهد يتصاعد عددها مع تصاعد الفصول على التوالي .

ملخص المسرحية:

يتكوّن الفصل الأول من مشهدين يصوران معاناة الشعب اللّيبي في المعتقلات وخارجها .

ويتكوّن الفصل الثاني من ثلاثة مشاهد ، فيصوّر الأوّل بعض أبطال المسرحية «أُمُّ سلمى وابنتها سلمى» وهما يتجولان في البيوت التي حوّلها جنود المستعمر إلى خرائب ، وتشاهدان الضحايا التي شُنقت من الرجال والنساء الأبرياء العُزّل ، ويصوّر الثاني عمر المختار وبعض رفاقه وهم يستعدون لخوض إحدى المعارك ، ويصور الثالث غرازياني وهو يتداول مع بعض ضباطه وجنوده كيفية القضاء على المجاهدين .

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية - ليبيا

ويتكوّن الفصل الثّالث من أربعة مشاهد يصور من خلالها الكاتب بعض ما لقيه الشعب من ويلات في المعتقلات ، لينتقل إثر ذلك إلى تصوير ما لقيه المختار ، ثم يأتي المشهد الأخير ليصوّر إصرار الشعب -بعد مقتل أحد قادته- على مواصلة الجهاد .

والزمان الذي تجري فيه أحداث المسرحية هو الفترة الواقعة فيما بين عام 1925 و1931م ، وأمّا المكان فهو منطقة الجبل الأخضر التي شهدت معارك جهاديّة عظيمة .

نموذج من مسرحيّة أحزان إفريقيا

(مقر قيادة عمر المختار ، في أحد كهوف الجبل الأخضر عدد من المجاهدين بالخارج يراقبون حركة العدو ، عمر يقف بباب الكهف ، شيخ وقور تجاوز الستين ، وجهه أميل إلى السمرة الداكنة ، ذو لحية بيضاء مستديرة ، أُمُّ سلمى في مواجهة عمر ، وقد أعطت ظهرها للمشاهدين بحيث لا تتضح شخصيتها تماماً ، قائدان مقنعان ، أحدهما راشد والآخر المنصور ، يتحدثان ، كلٌّ منهم سلاحُهُ في مُتناول يده .)

أمّ سَلْمَى : كَثِيرٌ هُمْ . . .

عُمَرُ المختار : وَقَبْلُهُمْ كَثِير
تَبَدَّدَ رِيحُهُمْ وَغَدَوا رِمَالَا
فَلَا تُحْزِنْكَ كَثْرَتُهُمْ

أمّ سَلْمَى : بِإِشْفَاقٍ وَأَخْشَى
عَلَيْكَ الْغَدْرَ ، لَا أَخْشَى الْقِتَالَا
(بتَوَسُّل) بِرَبِكَ لَا تَنمْ فَالْخَصْمُ صَاحٍ
يُمِدُّ إِلَيْكَ يَاعُمَرُ الحِبَالَا
وَلَوْ أَسَرُوكَ أَوْ قَتَلُوكَ ، وِيْحِي
إِذاً قَتَلُوا الإِرَادَةَ وَالنِّضَالَا

عمر المختار : رَعَاكِ اللهُ ، هَلْ تَدْرِينَ مَاذَا
وَرَاءَ الْأُفُقِ . . .؟

أمّ سَلْمَى : آفَاقٌ تَوَالَى

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية - ليبيا

عمر المختار : كَذَلِكَ تُولَدُ الثَّوْرَاتُ ، لَيْسَتْ
تَمُوتْ ، وَتَمْلَأُ الدُّنْيَا رِجَالَا

أمّ سَلْمَى : سَأَمْضِي (تَتَأَهَّبُ لِلْخُرُوج)

عمر المختار : فِي أَمَانِ الله ، لَا حَرَج وَلَا ضَرَّاء

(تخرج دون أن تلتفت ، عمر يعود إلى مكانه بجانب الْقواد الثلاثة)

عمر المختار : لِلْقَائِد رَاشِد أَتَعْرِفُ مَنْ تَكُونْ؟

رَاشِد : نعَمْ ، وَتَعْرِفُ خَطْوَهَا الصَّحْرَاء
وَيَعْرِفُهَا الْأَخُ الْمَنْصُور

المنصور : أَذْكُرُهَا ، فَذَاتَ مَسَاءْ
وَأَنْتَ بِمِصْرَ حِينَئِذٍ وَرَاءَ مَوْقِعِ الْأَعْدَاءْ
وَكُنَّا نَدْفَعُ الْخِذْلَانَ بِالْكَفَّيْنَ وَالْإِغْرَاءْ
وَنُوشِكُ أَنْ نَقُولَ كَفَى لِحَرْبِ الْجُوعِ وَالْإِعْيَاءْ
وَإِذْ بِوُرَيْقَةٍ مُصَغَّرَةٍ مَخْبُوءَةٍ بِدَهَاءْ
تَجِيءُ بِهَا إِلَيْنَا مِنْ لَدُنْكَ كَرِيمَةَ الْأَنْبَاءْ
لَقَدْ كَانَتْ رِسَالَتُكَ الصَّغِيرَةُ بَابَ كُلِّ رَجَاءْ

عمر المختار : وَلَا تَنْسَوْا فَقَدْ ضَحَّتْ بِأَرْبَعَةٍ مِنَ الْأَبْنَاءْ
قَضَوْا فِي الْمَرْجِ وَالْجَغْبُوبِ وَالزَّاوِيَةِ الْبَيْضَاءْ

المنصور : لِمَاذَا لَمْ يجِىءْ لِلْآن؟

رَاشِد : مَنْ؟

المنصور : عَبْدُالسَّلَام .

رَاشِد : (يَتَطَلَّعُ فِي سَاعَتِهِ) الْآنَ سَوْفَ يَجِيءْ . .
(يَدْخُلُ عَبْدُالسَّلَام السُّودَانِي) آهٍ ، هُوَ ذَا!

عبد السلام : السَّلَامُ عَلَى الْجَمِيعْ وعَلَيْكَ يَاعُمَرُ السَّلَام

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

عمر المختار : عَلَيْكَ يَاعَبْدالسَّلَام

عبد السلام : بِحَمْدِ الله قَافِلَةُ الْعتَادِ أَتَتْ
وَكَانَ خُرُوجُهَا فِي رِحْلَةِ السَّلّومْ
مُخَاطَرَةً ، فَقَدْ عَلِمَ الْعَدُّو بِهَا

عمر المختار : تُرَى هَلْ أَنَّ جَاسُوسَاً هُنَاكْ يَحُومْ
أَمْ كَانَتْ مُصَادَفَة؟

رَاشِد : وَفِي الْأَبْيَارِ ، هَلْ كَانَتْ مُصَادَفَة؟
أَمَا قَطَعُوا الطَّرِيق عَلَيْكَ يَوْمَ رَجَعْتَ يَاعُمَر؟
أَلَمْ تَجِدِ الْعَدُوَّ هُنَاكْ يَنْتَظِرْ؟
أَمَا كَانَتْ أَيَادِيهِمْ تَطُولُ إِلَيْكَ لَوْلَا أَنَّهُ الْقَدَرْ؟

المنصور : هُنَالِكَ خَائِنٌ يَتَعَقَّبُ الثُّوَارَ أَوْ مُرْتَدّ

عمر المختار : سَتَلْحَقُهُ خِيَانَتُهُ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِه
وَمَاذَا بَعْد؟

عبد السلام : فَاجَأَنَا الْعَدُوُّ بِنَارِهِ حتىَّ لَقَدْ كِدْنَا
ولكِنَّا تَذَكّرْنَا
ثَرَى لِيبِيَا فَعَاوَدْنَا
وَجَدَّدنَا عَزَائِمَنَا وَشَدَّدنا
عَلَيْهِمُ ، ثُمْ قَرَّبْنَا وَأَبْعَدْنَا
إِلَى أَنْ مَاتَ آخِرُهُمْ ، فَغَادَرْنَاهْ
وَغِرْبَانُ الدُّجَى تَنْعَاهْ

رَاشِد : (يَقِفُ عَلَى بَابِ الْكَهْفِ مُتَطَلِّعاً)
تَلَبَّدَتِ السَّمَاءُ

عمر المختار : لِنَسْتَعِدْ

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية - ليبيا

المنصور : أَجَلْ

عبد السلام : لَدَيْنَا كَمْ مِنَ الفُرْسَانِ

عمر المختار : خمسُ مئةٍ وَأَلْفُ مُجَاهِدْ

عبد السلام : وَعَدُّونَا؟

عمر المختار : حَشْدٌ بِلَا عَدَدْ ، خِلَافَ مَدَافِعِ الْمَيْدَانْ

عبد السلام : وَكَمْ طَيّارَة؟

عمر المختار : مِئَتَانِ غَيْرَ تَدَفُّقِ الْمَدَد

وتِسْعُ مُصَفَّحَاتٍ ضَخْمَةٍ

رَاشِد : وَالْآنْ؟

عمر المختار : قَلْبُ الْخُطَّةِ الْمَيْدَانْ

يُوَجِهُ الْحَدِيث إِلَى رَاشِد :

سَتَتَّخِذُ الطَّرِيقَ الْأَسْفَلَ الْمُلْتَف بِالْوَادِي

(لِلْمَنْصُور) وَتَكْمُنُ أَنْتَ مَا بَيْنَ الْجِبَالِ السُّودْ

حَتَى إِذْ هَجَمْتُ أَنَا عَلَى أَسْوَارِ دَرْنَة ، أَطْلِقُوا النِّيرَانْ

وَلَا تَقِفُوا فَإِنَّ تَدَفُق النَّجْدَاتِ أَخْطَرُ مَا نُوَاجِهُه

وَسَوْفَ يَكُونُ أَرْضُ الْمُلْتَقَى الجَبَلَانْ

فباسْم الله

الجميع : باسْم الله

عمر المختار : هيَّا أَيُّهَا الْإِخْوَانْ

(يختطفون بنادقهم ويخرجون ، عمر في المقدمة ، حين يسود الظلام تُسْمَعُ أصوات المعركة تتلاشى تدريجيا) .

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الخصائص الفنية:

تَلْحَظُ أن المسرحية تصور جهاد الشعب الليبي ضد المستعمرين ، بتصويرها اللحظات الأخيرة لجهاد أحد رموزه (عمر المختار) ، فهي من نوع المسرح الذي يستلهم التاريخ في صوغ أحداثه ، دون الالتزام الكامل بالأحداث والشخصيات التاريخية ، إذ يحدث أن يضيف الكاتب شخصيات من صميم خياله ، وذلك ، مثل شخصية العجوز العمياء (أُمُّ سلمى) ، الذي يذكرنا حضورها بالشاعرة العربية القديمة «الخنساء» التي استشهد بنوها الأربعة في معركة القادسية ، كما استشهد بنو هذه العجوز في جهادهم ضد المستعمر الإيطالي ، كما تلحظ أنّ الكاتب لا يركّز على شخصيّة البطل الّتي يندر ظهورها على خشبة المسرح لتفسح بذلك المجال لإبراز جهاد الشّعب نفسه ، إذ يعمد لتصوير بعض شرائحه الّتي تمثّل شخصيّة العجوز الّتي تصرّ مع ابنتها (سلمى) رغم كبر سنّها وعاهتها على المشاركة في حركة الجهاد بما تحمله من زاد ورسائل للمجاهدين ، ثمّ شخصيّة الشّاب الثّائر (زهير) الّذي يصمد للتّعذيب بعد أن قبضوا عليه ، ويواصل الجهاد حتّى يشهد مقتل بطله وقائده ، ثمّ الشخصيّات الأخرى المجاهدة (راشد ، والمنصور ، وعبد السّلام) ، الّتي تمثّل أعوان البطل والملتفّين حوله ، والشّيخ الإمام والمصلّون الملتفّون حوله .

وتأتي في الجانب المقابل شخصيّة الجنرال الإيطالي المتعجرف (غرازياني) وجنوده وأعوانه ، ولا تغيب الشّخصيّات الوطنيّة السّلبيّة الّتي ترمز للخيانة بإعانتها المستعمر على تحقيق أطماعه ، والّتي تمثّلها في المسرحيّة شخصيّة الرّجل الحليق ، الدّاعية إلى الاستكانة والذّل ، والخنوع ، والاستسلام والتّخاذل .

ومن حيث البنية فالملاحظ هو غياب الحبكة القصصية الّتي تتمثّل في توالي الأحداث وتطوّرها حتّى بلوغ النّهاية ، لتبدو فصول هذه المسرحيّة ومشاهدها مجموعة من الصّور الحيّة المتآلفة ، لا قصّة يمكن سردها وحكايتها ، ويبدو ذلك من مكامن القوّة في هذه المسرحيّة ، لا نقطة ضعف فيها ، لما يستدعيه الموضوع المعالج من تنوع ، تصلح له هذه الطّريقة .

والمسرحيّة بعد ذلك لوحة شعريّة تنتمي إلى أجناس الشّعر الّتي فصّلنا الحديث عنها في القسم النّظري من هذا الكتاب ، على أنّ الكاتب يحرص فيها -فيما يبدو من هذا المشهد المعروض هنا- على المزاوجة بين الطّريقة القديمة والطّريقة الحديثة في النّظم ، أي : تجمع بين شعر البحر وشعر التّفعيله ، إذ نلحظ الحوار الّذي يدور بين عمر المختار وأمّ

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية - ليبيا

سلمى منظوماً على بحر الوافر :

بِرَبِّكَ لاَ تَنَمْ فَالْخَصْمُ صَـــــاحٍ يُمُدُّ إِلَيْكَ يَا عُمَرُ الحِبَالاَ

وَلَوْ أَسَرُوكَ أَوْ قَتَلُوكَ ، وَيْحِي إِذْاً قَتَلُوا الْإِرَادَةَ وَالنِّضَـــالاَ .

فالوزن الّذي يظهر في هذين البيتين هو :

مفاعلتن مفاعلتن فعولن...مفاعلتن مفاعلتن فعولن .

لكنّ الحوار يتحوّل إثر ذلك إلى شعر التفعيلة الّتي هي تفعيلة الوافر نفسها (مفاعلتن) ، كما في المقطع الآتـــــــــي :

فَجَأنَا الْعَدُوُّ بِنَارِهِ حَتَّى لَقَدْ كِدْنَا

وَلَكِنَّا تَذَكَّرْنَا

ثَرَى لِيبِيَا فَعَاوَدنَا

وَجَدَّدْنَا عَزَائِمَنَا

وَشَدَّدْنَا

عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ قَرَّبْنَا وَأَبْعَدْنَا

إِلَى أَنْ مَاتَ آخِرُهُمْ فَغَادَرْنَاهُ

وَغِرْبَانُ الدُّجَى تَنْعَاهُ .

والملاحظ أنّ البيت لم يُلتزم فيه بعدد محدّد من التّفعيلات ، فقد يتكوّن البيت من أربع تفعيلات كما هو البيت الأوّل ، وقد يتكوّن من تفعيلتين كما هو في الثّاني ، والثّالث ، والرّابع ، وقد يتكوّن من تفعيلة واحدة كما هو في الخامس .

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا